قبل أن يضيع السودان ؟

السودان هو بوابة الإسلام والعروبة إلى أفريقيا فلتكن مهمتنا الاحتفاظ بمفتاح هذا الباب . حتى لاتقوم للإسلام والعروبة قائمة فى جنوب الصحراء الكبرى !

جون جارانج

المتمرد الصليبى فى جنوب السودان

أجل .. قبل أن يضيع .. ويضيع معه الجميع !!! فالمؤامرة على هذا الشعب الشقيق ليست وليدة اليوم .. بل بدأت أحداثها منذ حوالى قرن ونصف قرن .

وقد كانت الثورة المهدية أبعد نظرا تجاه هذه المؤامرة ، كما فاضت منشورات هذه الثورة بالتحذير منها منذ الأيام الأولى لهذه الثورة .
تقول مجلة العروة الوثقى[1] :

إن السودانيين لم تلتئم جراحهم من ظلم « جوردون[2] » أيام كان حاكما عليهم وقد رسخ فى قلوبهم أنه أعدى أعداء الديانة الإسلامية ، فقد طلب وهو فيهم قسسا من السويس لتنصيرهم والقضاء على عقيدتهم ..

فالجنرال « جوردون » كان مبشرا قبل أن يكون حاكما ، وكان فى أعماق أعماقه « كاهنا » قبل أن يكون واليا .
وعندما لقى مصرعه على أيدى « الأنصار »[3] فقدت الملكة فكتوريا صوابها وكما يقول « ألن مورهيد »[4] : لقد هرعت إلى بيت سكرتيرها وهى ترتجف وتنتحب بعد أن علمت بمصرع « شهيد المسيحية البطل » والقائد الفذ الذى لم يقهر ... !!!

---

(١) مجلة العروة الوثقى كان يصدرها السيدان جمال الدين ومحمد عبده فى باريس .
(٢) الجنرال الإنجليزى « جوردون » كان حاكما على السودان باسم مصر فى عهد الخديو إسماعيل .
(٣) الأنصار أتباع المهدى .
(٤) فى كتاب « النيل الأبيض » ص ٢٧٥ الطبعة العربية .
* لقد نشر هذا البحث قبل ثلاث سنوات . وهاهى الأحداث تؤكد كل ماجاء فيه من وقائع واراء .

وقد حذر « الإمام المهدى » الخديو توفيق من الركون إلى أعداء الله ، والاستعانة بهم فى سفك دماء أمة محمد لأنه من كان يؤمن بالله فلا ينبغى أن يأمن لكافر .. ومن رسخ فى قلبه أنه « مؤمن » اطمأن إلى نصر الله وتأييده ضد كل عدو فاجر ...[١]

* * *

إن بلاد السودان .. أو سودان وادى النيل يحتل فى حدوده الإدارية ما يقرب من مليون ميل مربع ، وهو فوق ذلك يعادل فى مساحته ثمانى دول أوروبية هى السويد والنرويج والدانمارك والجزر البريطانية وإيطاليا وأسبانيا وفرنسا والبرتغال .

كما تقع على حدوده الجنوبية أوغندا ، وزائير ، وكينيا ، وشرقا أثيوبيا وأرتيريا ، وغربا تشاد وأفريقيا الوسطى ، وشمالا جمهورية مصر كما يشترك فى الشمال الغربى مع ليبيا [٢] .

والميزة الرئيسية لموقع السودان أنه يمثل أكبر عمق إسلامى فى أفريقيا كذلك يمثل أكبر وحدة عربية إسلامية حافظت على لغتها العربية وعقيدتها الإسلامية [٣] ...

هذا الموقع المتميز للسودان يجعله واقعا تحت تأثير مختلف الثقافات والتيارات التى تهب على القارة الأفريقية من شتى المنافذ والاتجاهات ، كما تجعل منه فى الوقت نفسه مصدر إشعاع وحضارة إذا توافرت له الأسباب والإمكانات .

---

(١) انظر الجزء الثانى من منشورات الإمام المهدى .

(٢) معالم تاريخ السودان . الشاطر عبد الجليل البوصيلى ــ القاهرة ــ ١٩٥٥ م .

(٣) دراسات فى الجغرافيا البشرية للسودان . د/ عبد العزيز كامل ــ القاهرة ١٩٧٢ م .

ومنذ تفجرت الثورة المهدية أدركت بريطانيا أن استقرارها وتحكمها فى منطقة الشرق الأوسط ووسط أفريقيا يتوقف على القضاء على الكيان السودانى واستقلاله[1]. فبدأت تفرض سيطرتها على السودان وبخاصة المناطق الجنوبية لتكون عازلا بين مستعمراتها فى وسط وشرق أفريقيا من ناحية . والعالم الإسلامى والعربى من ناحية أخرى ... !!!

وتنفيذا لوصية الجنرال المبشر « جوردون » فتحت بريطانيا الطريق أمام التبشير المسيحى ليبدأ عمله فى الجنوب ــ ولأول مرة ــ بين القبائل الوثنية الزنجية ، واستمرارا فى هذه السياسة التخريبية أنشأت « الفرقة » الاستوائية » لتحل محل الجنود المسلمين الذين كانوا فى نظرها بعثة تبشيرية إسلامية ... !!!

ومحاولة فصل الجنوب عن الشمال لم تكن إلا حلقة أو خطوة فى سبيل تنفيذ هذه المؤامرة[2] ..

* * *

لقد اعتمدت عصابات « التبشير » فى دعوتها إلى كراهية المسلمين والعرب إلى أكذوبتين :

أما الأولى فالربط بين الإسلام والرق .

وأما الثانية فالربط بين الإسلام والتفرقة بسبب اللون والعرق .

وكما يقول « جاك مندلسون » إن هذه أوقح أكذوبة يروج لها المنصر أو المبشر ، لأن هذه التفرقة « بدعة » سيئة لم تعرف إلا بين المبشرين وأسيادهم فى بلاد الغرب ، كما أن هذه التفرقة لا تزال تمارس حتى يومنا هذا فى الكنائس وفى دور العبادة ، وفى اختيار القساوسة والكهنة ، وهذه

---

(١) النيل الأبيض ــ ألن مورهيد ــ ص ٢٢٤ .

(٢) دراسات فى الجغرافيا البشرية للسودان . دكتور عبد العزيز كامل .

التفرقة هى إلى يومنا هذا « الإنجيل المقدس » الذى يبشر به هؤلاء الذين يقولون دائما .. غير الحقيقة ..

وما يقوم به البابا « جون بول » هذه الأيام من إدانة التفرقة والوقوف إلى جانب قضايا الشعوب المظلومة .. إنما هى محاولة ساذجة لنقل « الجبل » الذى تحطمت فوق صخورة الكنيسة، ومحاولة لإحياء موعظة الجبل[1] التى دفنها المبشرون فى أغوار سحيقة .. !!!

* * *

وتعتبر مأساة الكاهن الهندى[2] متى دى كاسترو نموذجا صارخا لهذه التفرقة وتتلخص هذه القصة ـــ كما ترويها وثائق التبشير ـــ فى أن « متى دى كاسترو » كان شابا هندوكيا من ولاية جوا (التى كانت آنذاك مستعمرة برتغالية) وقد تحول إلى المسيحية .

لكن أسقف جوا (البرتغالى) الكاثوليكى رفض رسامته كاهنا .. فما لبث أن نجح فى شق طريقة إلى روما ، وبعد سنوات من الدراسة تمت رسامته كاهنا فى عام ١٦٣٠ ، وأعيد إلى الهند ليعمل فى التبشير بين شعبه . بيد أن أعداءه أقاموا الكثير من العقبات فى وجهه ، مما اضطره فى عام ١٦٣٦ إلى أن يعود ثانية إلى روما بطريق البر ...

وهناك تمت رسامته مطرانا وأعيد ثانية إلى الهند ، إلا أن مصاعبه تضاعفت منذ لحظة وصوله ، فقد رفض أسقف جوا الاعتراف به مطرانا . وأخيرا لم يجد « متى » أمامه مفرا من العودة إلى روما مرة ثالثة ليعرض قضيته بنفسه ، وبعد مجهود عقيم بذل فى إقناعه بالذهاب إلى الحبشة ، فإنه عاد إلى الهند مرة ثالثة فى عام ١٦٥١ ، وهو ينفث تهديدا ووعيدا ضد

---

(١) موعظة الجبل إحدى المواعظ الشهيرة فى التراث المسيحى .. انظر انجيل متى ، الإصحاح الخامس .

(٢) نقلا عن كتاب « حقيقة التبشير » للسيد اللواء أحمد عبد الوهاب مكتبة وهبة .

البرتغاليين وجميع اليسوعيين ... ولما بدأ « متى » فى إرسال الشكاوى المتلاحقة إلى روما ضد البرتغاليين وما كان عليه أمر الكنيسة فى جوا ، تبين من بحثها أن جزءا من اتهاماته كان صحيحا .

إلا أنه رؤى من الحكمة التخلص من المصدر الأساسى للقلاقل (وهو متى) ولذلك جرد من لقبه فى عام ١٦٥٨ ، وأعفى من وظيفته ، إلى أن توفى عام ١٦٧٧ ..

ولم .. يتم رسم أى مطران هندى إلا فى عام ١٩٣٢ م أى بعد حوالى ثلاثمائة عام من وفاة « متى » المسكين .. !!!

ولقد فطن القادة والمثقفون فى أفريقيا إلى خداع حركة التبشير ، ولذلك انتهزوا كل فرصة للتعبير عن سخطهم وكراهيتهم ، فنراهم يقولون : « حينما يكون للرجل الأبيض اليد العليا ، فإن المبشرين يتقبلون برضاء غريب هذه التفرقة العنصرية .

(وفى حديث مع أحد المبشرين) أشار فلاح ثرى من « كيكوبو »[1] إلى قمة تل من التلال السوداء بكينيا قائلا : هل ترى الإرسالية التى هناك ؟ إنهم يديرون ملجأ للأيتام ومدرسة للتجارة ومستشفى ، وكان هذا لصالحنا نحن الكيكوبيين .

ولكن هل تعلم أننى لم أر قط أى قسيس أبيض منهم فى أى اجتماع أو قداس بقريتنا ؟ إذا كانت هذه هى المسيحية فإننا نستطيع الاستغناء عنها » .

* * *

(١) قبيلة فى كينيا .

ولقد دار حوار بين أحد المبشرين وشاب نيجيرى مسيحى مثقف ، اشتغل بالتدريس لبضع سنين فى مدارس الإرساليات ، وكان فى بلده واعظا مرخصا له وشغل عدة منابر للوعظ ، وسافر إلى الولايات المتحدة للدراسة الجامعية ، ثم عاد إلى نيجيريا ، وكان السؤال الذى طرحه المبشر هو كيف ترى مستقبل المسيحية كالتزام دينى لنخبة أفريقيا الناهضة ؟
فكان جواب الشاب النيجيرى :

« فى المستقبل القريب جدا سوف تخسر المسيحية نهائيا فى أفريقيا إنها تخسر فعلا . هل تظن أننى عائد إلى أفريقيا لأظل مسيحيا ؟ كلا .. وحينما ضغط عليه المبشر « ليشرح لماذا يظن أن للمسيحية مثل هذا المستقبل الضئيل فى أفريقيا ، فإنه انتقد المبشرين وقادة الكنيسة الأفريقية قائلا :

« إن المبشرين البيض الذين جاءوا إلى أفريقيا للتبشير بالإنجيل ، لم ينصروا شعبهم بعد . يجب عليهم أن يروا الرمد الذى فى عيونهم قبل عيون جيرانهم .

أنا لا أستطيع أن أفهم لماذا يجب أن تكون هناك تفرقة عنصرية فى الكنيسة .

إن الكنيسة مشروع تجارى ، ففى الوقت الذى نرى فيه المبشرين البيض من المتخمين ... نرى عكس ذلك فى القساوسة السود الذين يعيشون عالة تحت أقدام هؤلاء المبشرين البيض ..!

* * *

لقد كانت الملكة « اليزابيث » الأولى تاجرة رق ، وكانت شريكة لأكبر تاجر رقيق فى عصرها واسمه « جون هوبكنز » وكانت السفينة التى تحمل المخطوفين من أفريقيا اسمها « يسوع » له المجد !!! وكان القسس ورجال الكنيسة يتقاضون ضريبة عن كل « رأس » ولم يكونوا يسمحون

بإبحار السفن المحملة بالرقيق قبل التسليم والتسلم من يد النخاس الأبيض الذى يدفع هذه الضريبة قبل الإبحار من شواطىء الشحن[1] ..

والشىء المفزع والمخزى معا .. أن منظمة الوحدة الأفريقية التى تجعل من « أديس أبابا » مقرا لها رسمت فى مقر هذه المنظمة أو فى مدخله صورة رجل أفريقى يجره رجل عربى إلى حظائر الرق .. !! يحدث هذا فى الوقت الذى تشترك فيه دول عربية كثيرة فى هذه المنظمه ، ويشاهد وزراؤها ورؤساؤها هذه الصورة البغيضة دون تدخل من أى أحد .. ودون كشف هذا الزور حتى لايبقى لاصقا بالعرب والمسلمين إلى الأبد .

* * *

لقد بدأت المؤامرة على السودان منذ وقع فى قبضة « التبشير » الذى خططت له بريطانيا بدهائها المعروف ضد الإسلام والشرق ، وكان « غوردون » فى مقدمة جنرالاتها الذين فرضوا على مصر لتنفيذ هذه المؤامرة بعد احتلال بريطانيا لمصر ..

لم يكن الهدف هو جنوب السودان .. إن المؤامرة أخطر من ذلك بكثير جدا .. الهدف هو السودان .. ومصر .. كما أن الهدف هو مطاردة الإسلام . واجتثاث جذوره فى أى قطر .

إن كلمة « أنيانيا » تعنى فى لغة « الدنكا » سم الأفعى ، وقد اختارت الكنائس لحركة « المخربين » فى جنوب السودان هذا الاسم لم تعد هناك أنيانيا ANYANA واحدة . هناك « أنيانيات » ANYANYAS كثيرة . أنيانيا رقم واحد ، وأنيانيا رقم اثنين ، وأنيانيا رقم ثلاثة ، وأنيانيا رقم أربعة .

فى جنوب السودان توجد منظمتان تحملان هذا الاسم . أما

---

(١) انظر كتابنا حتى لانخدع . فصل « الجذور » أو قصة الرق على مدى العصور .

الأنيانياتان الثالثة والرابعة فاتجهت إحداهما إلى دارفور وبلاد النوبة .. وتسللت الرابعة إلى شمال السودان من الخرطوم إلى حلفا .. !

هل سمعتم باسم القس « فيليب عباس » ؟ إنه « نوبى » وقع فى الفخ .. وسرى السم فى جسمه فبدأ يتحرك فى بلاد دارفور والنوبة من جهة الغرب ..

منذ أشهر لوحظت فتاة تخرج من إحدى الكنائس فى مدينة الإسكندرية .. لقد لفت شكلها نظر ضابط بحرى مسلم .. وحين سألها عن جنسيتها قالت من النوبة .. فأعاد عليها السؤال بشكل آخر .. :

ــ أمن نوبة مصر .. أم من نوبة السودان .. ؟

قالت بصوت قط أجش النوبة فقط !!!

هذه الإجابة العابرة قد لايدرك خفاياها أحد .. ولكنها تعنى الانفصال عن كل من السودان ومصر . إلى الأبد .. ؟!

وتعنى التآمر والتخطيط لتنفيذه فى أقرب وقت ، وفى أحسن الفروض فهى ظاهرة تدل على مدى ما رسخ فى قلب هذه الفتاة من الكراهية والحقد ..

إن البابا جون بول الثانى يطوف العالم الإسلامى شرقا وغربا وأول مايفعله بعد هبوطه من الطائرة أن يخر ساجدا ليقبل الأرض داعيا إلى السلام والحب ... !!!

إن السذج فى العالم الإسلامى أكثر من تسعة وتسعين فى المائة .. فهذا المنظر يثير فى القلوب نشوة خاطفة ويخطف أبصار « المغفلين » من أبناء الإسلام والعروبة .

هل منكم من يحفظ قصيدة « الديك والثعلب » ؟!!

إنها قصيدة تذكرنا بما يجب أن يكون عليه المسلم من اليقظة والحذر فى مواجهة هذا الشر القوى المتغلب . !

تقول هذه القصيدة :

ظهر الثعلب يوما ★ فى ثياب الواعظينا
ومشى فى الأرض يهدى ★ ويسب الماكرينا
ويقول الحمد لله إله العالمين
يا عباد الله توبوا ★ فهو كهف التائبينا
واطلبوا الديك يؤذن ★ لصلاة الصبح فينا
فأتى الديك رسول ★ من إمام الماكرينا
عرض الأمر عليه ★ وهو يرجو أن يلينا
فأجابه الديك عذرا ★ يا أضل .. المهتدينا
مخطىء من ظن يوما ★ أن للثعلب دينا

فهل يوجد بين مسلمى اليوم .. من يملك حصافة هذا الديك ؟ أو حتى بعد نظره فى التفرقة بين العدو والصديق ... !!!

لقد اختير « جنوب السودان » كرأس حربه ، ولكن هل تعرفون كم عدد المسلمين والمسيحيين فى هذه المنطقة ؟ .

إن عدد المسلمين فى جنوب السودان هو الأكثر من أى دين آخر ... أما الباقون فوثنيون يعبدون الطوطم والطبيعة والساحر !!!

ولكن المسلمين فقدوا قيمتهم بأيديهم ... ومكنوا عدوهم من رقابهم وإلا فبماذا تفسر استبدال إسرائيل خمسة آلاف مسلم وعربى بطيار يهودى واحد .. !!!

وأذكر فى أول مؤتمر لمجمع البحوث الإسلامية ـــ وكان ذلك فى شهر شوال ١٣٨٣ هـــ مارس ١٩٦٤ م ـــ أن التقيت بزعيم سياسى سودانى .. لقد وجدته منهمكا فى السياسة . حائرا بين دروبها الملتوية المظلمة . عازفا على نغمة التقدم والرجعية ..

كان لقاؤنا عابرا فى مدخل إدارة الأزهر وكان مما قلته وأذكره بالضبط :

ــ أعتقد أن « جهاد الوقت » بالنسبة للسودان إنما هو فى حشد كل الطاقات لمواجهة الخطر التنصيرى الذى بدأ شره يستفحل ... لقد أشاح الرجل بوجهه عنى بدون قصد ! ثم هرع مسرعا إلى داخل المؤتمر ليلقى بحثا عن « عوامل انتشار الإسلام فى العالم » الذى لما يولد بعد !!! وقد شارك معظم الحكام والزعماء فى هذا التساهل ، وانشغلوا جميعا بتوزيع المناصب وتبادل الحكم الذى مازال يتعرض للبراكين والزلازل .. !!

* * *

قبل أن يضيع السودان ..

أى والله .. قبل إن يضيع ونضيع .. هل تريدون مزيدا فوق ما قلت ؟ .. هاكم الأدلة التى تقصم ظهر « الجبل » وتجعله يصرخ ويستغيث من هول ما سوف يتعرض له السودان فى المستقبل .

لقد تم التغلغل الكنسى فى السودان عبر ثلاث مراحل تاريخية . لكل مرحلة منها سماتها ومميزاتها . إذ إن الهيئات الكنسية تتطور وتتغير وتتكيف مع الأوضاع بسرعة مذهلة لتحقيق أغراضها وتوطيد أقدامها ونفوذها[1] .

المرحلة الأولى :

بدأت فى النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادى : وقد مهد لذلك الحكم التركى حيث استغلت السياسة التبشيرية ظروف تدهور الخلافة العثمانية وضعف دولة محمد على بمصر ووقوعها تحت تأثير الدول الأوروبية .

فسعت لإيجاد موضع قدم لها فى السودان تحت حماية الحكام والمكتشفين الأوروبيين الذين استعانت بهم الخديوية فى مصر لإدارة السودان (صمويل . بيكر . سلاطين باشا . غوردون الخ ...)

---

(١) نقلا عن كتاب « التبشير المسيحى فى العاصمة المثلثة » حسن مكى .. ص٢ ومابعدها .

وقد استمرت هذه المرحلة حتى قيام الثورة المهدية فى عام ١٨٨١ . وفى عام ١٨٨٥ وبعد فتح الخرطوم تم إبعاد كل التأثيرات الكنسية عن السودان .

المرحلة الثانية :

ظل السودان خاليا من التأثيرات الكنسية حتى مطلع هذا القرن وبدأت مرحلة جديدة بعد ما أعيد إخضاع السودان للسياسة الإنجليزية المصرية وتحت إدارة السردار كنشترو ونجت باشا ، اللذين رفضا فى بادىء الأمر السماح بالتبشير فى شمال السودان . خوفا من ردود الفعل فى دولة حديثة العهد بثورة إسلامية . ولكنهما ما لبثا أن تنازلا عن ذلك وعلى الأخص بعد مجيء الأب ليوقلاين قوينى (LIOVELLYN H . GGWYNNE) ممثل الكنيسة الإنجليزية فى عام ١٩٠٠ ويعتبر قوينى مؤسس العمل التبشيرى الحديث فى السودان .

المرحلة الثالثة :

تزامنت هذه المرحلة مع تأثيرات الحرب العالمية الثانية وظهور الوعى القومى الحديث فى السودان . حيث أحدثت حركة الحرب تغييرا نوعيا فى حركة المجتمع السودانى بظهور الإذاعة وانخراط أبناء المناطق المتخلفة فى الجيش وتدفقهم على الخرطوم . كما تنوعت فى إطار هذه المرحلة استراتيجية التبشير مع التطور الدستورى للبلاد إبتداء من ظروف الحكم الذاتى والاستقلال مرورا بمحاولات الحكومات الوطنية المتعاقبة فى البناء والإصلاح .

ويمكن القول إن المرحلة الأولى (١٨٤٨ ــ ١٨٨٥) كانت مرحلة الاستكشاف وإجراء الدراسات والتعرف على المنطقة وشعوبها وبذر البذور وتحديد الأولويات والمرحلة الثانية (١٩٠٠ ــ ١٩٣٩) كانت مرحلة

البناء المتواصل لتحقيق الأهداف المرسومة والتى عبر عنها ترمنجهام [1] أسقف الكنيسة الإنجليزية فى الأربعينيات حيث قال :

(With the develpment of the christian church in the South, we in the Sudan are faced with the iminent meeting of a Sudanese christianity and a Sudanese Islam. That the church of the South freed as it is from a race problem, though there being a white settlement, will be a favourably pleased when it becomes the official religion of the South.

It is our task in the north to prepare for the day, we shall seek :

1 - To establish christian centres in all border lands areas where Islam is in contact with paganism .

2 - To establish christion centres in the lands of intrenched Islam so that christianity of the South will have points of contacts when it flows northwards .

وترجمة ذلك : إنه بتطور الكنيسة المسيحية فى الجنوب . فإننا مواجهون باللقاء المرتقب بين المسيحية السودانية والإسلام السودانى . إذ بتحرر كنيسة الجنوب من عقدة العرق ـــ بالرغم من وجود استيطان أبيض ـــ فإنها ستشعر بغبطة عندما تصبح الديانة الرسمية للجنوب . وأنه لمن واجبنا فى الشمال الإعداد لذلك اليوم وسنسعى إلى :

١ ـــ تأسيس مراكز مسيحية فى كل مناطق الأراضى الحدودية التى يتصل فيها الإسلام بالوثنية .

٢ ـــ تأسيس مراكز مسيحية فى ديار الإسلام حتى تصير للمسيحية فى الجنوب نقاط ارتكاز حينما تندفع فى اتجاه الشمال .

وقد عرفت هذه السياسة بسياسة طرد الإسلام عن مناطق السودان غير المسلمة . وربط المسيحية الزاحفة من الجنوب بالمسيحية المراد ترسيخها فى مناطق الغرب والشمال . !!!

---

(١) Spencer Trimingham. The Christian Approach to Islam. Oxford. U.P.

أما المرحلة الثالثة : فقد تميزت بالتركيز على العمل فى الخرطوم لأنها قبلة للجماعات غير المسلمة بفعل ظروف الحرب وانتشار المواصلات وطلبا للعمل . وقد تم تغيير نوعى فى أسلوب العمل المسيحى ، إذ ظهرت بيوت الضيافة وأندية الجنوبيين . كما توسعت الكنيسة فى العمل الاجتماعى والتعليمى بقصد اجتذاب أكبر عدد من الجنوبيين وأبناء النوبة ولا تزال هذه الاستراتيجية نافذة حتى يومنا هذا .

وكخطوة « عملية » لتنفيذ هذا المخطط ، بدأ العمل على زرع الكنائس والمدارس على هذا النحو الذى يراه القارىء فى مدينة « الخرطوم » فقط .

أولا : المدارس الكاثوليكية :

هناك حوالى ٢٤ (أربع وعشرون) مدرسة كاثوليكية صباحية ومسائية ، ومعظم الطلاب والدارسين فى هذه المدارس من المسلمين من البنات والبنين .

ثانيــا : مدارس الإرسالية الإنجيلية :

يوجد فى مدينة الخرطوم ٨ (ثمانى مدارس) تابعة لهذه الإرسالية وللغرض نفسه الذى تمارسه المدارس الكاثوليكية .

ثالثــا : مدارس الإرسالية الأسقفية :

وقد تخصصت هذه الإرسالية فى تعليم البنات فقط .. ! ومجموع المدارس التابعة لهذه الإرسالية ٧ (سبع) مدارس ولا تزيد نسبة المسيحيين منهم على ٢٧ ٪ (سبع وعشرين فى المائة)، والباقون مسلمون !

رابعـا : مدارس الكنيسة القبطية (أرثوذكس) :

تقع معظم هذه المدارس فى حى المسالمة . شرق شارع الشنقيطى الذى يعتبر مركز نشاط الأقباط . إذ فيه كنيستان هما الكنيسة القديمة مارى جرجس والجديدة مارمينا ودار رابطة الشباب القبطى والمقبرة القبطية . وهذه المدارس تعمل بالمنهج المصرى .

ويطغى عنصر الأقباط والمسيحيين ، على معلميها . حوالى ٧٠ ٪ من طلابها من المسيحيين وبها تتركز أكبر نسبة من المسيحيين مقارنة بغيرها من المدارس .

خامسا : مدارس الجاليات :

لبعض الجاليات المسيحية مدارسها الخاصة وهي تبدأ بالروضة وتنتهى بالثانوى العالى وأهمها مدارس الجالية الأرمينية واليونانية ولم يعرف لهذه المدارس تاريخ تبشيرى . وهنالك مدارس البعثة المصرية وهى مدارس تبدأ من الروضة وتنتهى بجامعة القاهرة فرع الخرطوم وتستخدم المنهج المصرى ولا علاقة لها بالتبشير اللهم إلا باعتبار أن طائفة من المعلمين بها من الأقباط .

وتقع هذه المدارس الكنسية فى أحسن المواقع بالعاصمة وتتمتع بالكثير من الامتيازات ، وقد حازت هذه المواقع من أيام الاستعمار البريطانى حينما كان التعليم من صلاحيات الكنيسة . ولم يحدث مراجعة فى أمرها طيلة أيام العهد الوطنى ، وتقوم هذه المدارس بدور مزدوج . فبينما تقدم خدماتها للطبقة العليا من المجتمع ضامنة بذلك تيسير أعمالها تركز فى نفس الوقت على أبناء الجنوبيين والنوبة والوافدين وتمارس فى وسطهم نشاطا تبشيريا مركزا . وقد ساعد ضعف مستوى التعليم فى المدارس الحكومية وعدم استقراره على زيادة الإقبال لتلك المدارس ، مما جرأ إدارتها على اتخاذ سياسات تبشيرية لم تقتصر على أبناء الجنوب ومناطق النوبة بل تجاوزتها إلى الأغلبية المسلمة من التلاميذ ، ولو أن التبشير وسط هؤلاء يتم بصور خفية وغير مباشرة ،كما أن منهج الدراسة فى هذه المدارس يقوم على وضع مادتى اللغة العربية والتربية الإسلامية على الهامش باعتبار أن طلاب هذه المدارس يمتحنون لشهادات أجنبية تؤهلهم لدخول

جامعة الخرطوم وغيرها مما يعطيهم ميزة على أقرانهم فى المدارس الحكومية . إذ إن مواصفات الشهادات الإنجليزية لم تتغير كما تغيرت الشهادة ــ السودانية والتى يتطلب دخول الجامعة إحراز نسب عالية فيها[1] .

ولقد كان من أهداف المؤسسات التبشيرية تغيير الطابع الإسلامى للعاصمة فمدينة أمدرمان ــ العاصمة الوطنية ــ التى أسسها الامام محمد أحمد المهدى عمدت الإرساليات إلى تغيير طابعها بالكنائس الكثيرة التى أقامتها فى حي الملازمين والمسالمة ومدينة الثورة . وذلك بالإضافة إلى عدد كبير من الأندية المسيحية والكنائس العشوائية والمدارس التبشيرية فى قلب المدينة ووسط الأحياء السكنية . واليوم فإن مسلات كنائس جرجس ومرمينا والكنيسة الإنجيلية وكنيسة أمدرمان تكاد تطغى على مآذن المساجد . والغريب أن عدد الكنائس وحجمها يفوق بكثير عدد المسيحيين فى تلك المناطق . !!

أما فى الخرطوم فيكفى أن عدد الكنائس فى الخرطوم القديمة يفوق عدد المساجد . إذ توجد أربعة مساجد هى مسجد القوات المسلحة ، ومسجد الجامعة ، ومسجد فاروق ، ومسجد الخرطوم الكبير ، بينما نجد من الكنائس كاتدرائية القديس متى وكنيسة كمبونى والكنيسة الأسقفية فى قصر الشعب (وقد حول مقرها أخيرا لظروف أمنية وإن ظلت تكسب المكان طابعا كنسيا) وكنيسة السيدة العذراء وكنيسة القديس فرانسيس وكنيسة فيللا جليدا . وثلاث من هذه الكنائس تطل على النيل الأزرق . وليس هناك مقارنة فى فخامة مبانيها ونظافتها بالنسبة لمساجد المنطقة وكذلك الأمر فى الخرطوم بحرى تطل بعض كنائسها على النيل الأزرق وتجاور جامع بحرى

---

(١) المصدر السابق ص ١٢ .

الكبير وتتفوق عليه فى العلو والجمال الهندسى . وهذا يعنى أن العاصمة المثلثة صار يطغى عليها الطابع الكنسى فى عمارتها بالرغم من أن الأغلبية الساحقة من سكانها مسلمون . مما يعطى انطباعا خاطئا للوافد والزائر !

كما أن كثيرا من المؤسسات الكنسية كمدارس اللاهوت والأندية المسيحية تحتل مواقع استراتيجية هامة . فمثلا النادى الكاثوليكى يطل مباشرة على مطار الخرطوم وهو أول مبنى خارج المطار يقع عليه نظر القادم . وقد تحصلت الكنيسة الكاثوليكية على قطعة أرض مساحتها مائة ألف متر مربع بجوار المطار الجديد بالخرطوم بحرى لتقدم ذات الانطباع . كما أن هناك ظاهرة جديدة ألا وهى ظاهرة الكنائس العشوائية التى أخذت تقوم دون تصديق فى المناطق السكنية كأمبدة جنوب وأمبدة شمال وفى مدينة الثورة وفى حى كوبر وحلفاية الملوك والاماب بحر أبيض والعزوزاب والتى بلغ عددها ستا وعشرين كنيسة عشوائية .

وقد عمدت الكنيسة فى السنين الأخيرة إلى القيام بنشاط ضخم فى مجال التبشير وتوزيع المطبوعات وإقامة معارض الكتب المسيحية وبأسعار رمزية فى الجامعات وعلى البواخر التى تقوم برحلات نيلية مجانية ترفيهية . كما عمدت إلى تجنيد أعداد كبيرة من أبناء المناطق المتخلفة كباعة كتب فى أركان ميدان الأمم المتحدة وأسواق بحرى وأمدرمان . كما يقوم هذا النفر بتوزيع هذه الكتب أحيانا بالمجان وأحيانا بأسعار رمزية على الأسر والأطفال فى مناطق الأطراف والأحياء الشعبية . وهى أنماط مختلفة من الكتب . فمنها أدب الأطفال والقصص وقصص الأنبياء ، كما وردت فى أناجيلهم بالإضافة إلى الكتب الفكرية التى تحارب الإسلام وتشكك فى عقائده وتسب النبى محمد ﷺ ، وقد انتبهت سلطات الأمن لهذا النشاط . فقامت أخيرا بإغلاق دار (الشبيبة المسيحية) وصادرت ما فيها من كتب تهجم على النبى ﷺ وتشكك فى الدين الإسلامى ، وتثير الشبهات حول موقفه من المرأة والرق .. إلخ ، وقد وجدت بها مئات الآلاف من الكتب والغريب

فى الأمر أن تلك الدار كانت تعمل لسنوات دون تصديق من أى جهة فى الدولة وظل يديرها عدد من الشباب الألمان(١) .

والأمر المحزن أن الحكومة السودانية منذ عهد الاستعمار تعامل الكنيسة معاملة خاصة وتميزها على بقية المؤسسات الاجتماعية والدينية المماثلة ، فالسفر على خطوط السكة الحديد يمنح للعاملين فى الكنيسة بنصف القيمة وكذلك العلاج . أما الاعفاءات الجمركية فقد شملت وكالات الإغاثة المسيحية التبشيرية ومجالس الكنائس وهيئاتها . بل إن هذه التسهيلات والاعفاءات دفعت الكنائس لإقامة شركات ومؤسسات حتى تستفيد من هذه الاعفاءات . وتستطيع الكنائس اليوم وحسب الاتفاقيات الواردة تحت المادة (١٩٠) (١) (أ) مع مدير الجمارك إدخال ما تريد إدخاله من أثاثات وعربات وناقلات وطائرات ومعدات ومشتقات بترول ووسائل اتصال ومواد بناء وملابس ومأكولات عن طريق أكثر من ثلاث عشرة مؤسسة . وبالرغم من قانون الجمارك الذى يمنع بيع هذه المواد المعفاة من الجمارك فإن بعضها يصل الأسواق ويباع بسعر تجارى يدر عائدا طيبا على بعض المؤسسات التبشيرية فتستغله فى تكثيف نشاطها التبشيرى .

* * *

ماذا يعنى هذا كله ؟

يعنى التآمر على السودان بكل ما تمثله هذه الكلمة .. تآمر يستهدف الإسلام كعقيدة ، وتآمر يستهدف السودان لإخراجه من حظيرة الإسلام والعروبة ، وتآمر رُسِمَتْ خططه وخطواته لتنفيذ هذه المؤامرة بأبعادها الخطيرة .

---

(١) المصدر السابق ص ١٧

والمأساة أن أكبر حزبين سياسيين فى السودان لهما صبغة إسلامية .. ولكن هذه الصبغة « الإسلامية » توارت واختفت فى « سراديب » السلطة والحكم وانشغل الساسة والقادة عن هذه الكارثة التى لن تبقى على أحد حين تقترب ساعة « الصفر » وحين يقترب « جون غارانغ » من الخرطوم على صهوة جواد ليفرض على الجميع شروط الصلح !!!

إننى خائف على السودان .. وهو خوف يسانده الواقع والتجربة ، وتؤيده الظواهر الكثيرة المتقلبة ، وقبل أن يضيع السودان لابد من التحرك بسرعة ، والتصدى لقوى الشر التى تمكنت منه فى كل ناحية .. واستشرى خطرها فى « الخرطوم » العاصمة ...

* * *

وفى هذا الحوار الذى أجرته مجلة « الحوادث اللندنية » مع الفريق محمد سوار الذهب ـــ قبل تنازله عن السلطة ـــ تنكشف أبعاد هذه المؤامرة التى توضحها هذه الإجابات وهذه الأسئلة :

س : إن البيانات والمنشورات التى صدرت عن حركة التمرد أظهرت وكأن السودان بات مستهدفا فى عروبته وانتمائه الإسلامى ، عبر دعوة التحريض على « تخليص السودان من حكم الأكثرية المسلمة فى الشمال » هل لديكم إيضاحات معينة فى هذا الصدد ، وما مدى خطورة هذه الدعاوى ؟!

ج : هناك حقيقة كبرى فى هذا الكلام ، من حيث التوجه العنصرى الذى أظهرته طبيعة الحركة المتمردة ، وأهداف المخططين لها .

فالهدف الحقيقى لهذه الحركة ، كما تظهر التحقيقات المستمرة ، هو تغليب العنصر الزنجى الأفريقى المحض ، وإبعاد العناصر العربية المسلمة كافة من السودان ، والقضاء عليها ، فكما يتصور هؤلاء السودان هو فقط

للعناصر ذات الأصول الأفريقية ، وهذا المنطق غير مقبول ومرفوض ، ويستحيل حتى مجرد التفكير فيه .

س : هناك تساؤلات كثيرة عن سر توقيت إثارة هذه الدعاوى العنصرية ، فى الفترة الانتقالية الحرجة التى يمر بها السودان ، ويعتقد مراقبون أن تفجير هذه « القنابل الزمنية » مرده إلى مخاوف حقيقية لدى السودانيين غير المسلمين ، بعد بروز واضح فى توجهات السودان الإسلامية منذ تطبيق الشريعة .

فهل تعتقدون أن المحاولة الأخيرة كان مبعثها الخوف ودافعها الحصول على ضمانات ، أم أن الأهداف الحقيقية أبعد من ذلك ؟

جـ : أتصور أن ماحدث فى القوات المسلحة من مقدمات حركة تمرد ، كان مجرد صدفه ، وليس من المناسب القول إن فى السودان اتجاهات تغلب عليها وتحركها المشاعر الدينية المحضة . فحتى الأحزاب التقليدية ذات التوجهات الإسلامية تتميز بسماحة سلوكها واعتدالها ، وإذا ما طالب السودان بتطبيع الشريعة فلأن الغالبية العظمى من أبنائه هى من المسلمين ، والسودانى معروف بتعلقه بتعاليم دينه .

س : السودان من حيث خصوصيته العرقية والمذهبية يمكن اعتباره ثغرا عربيا ومسلما ، فى موقع متقدم من القارة الأفريقية . فإذا ما استمرت الموجه العنصرية التى أشرت إليها . وتكررت المحاولات ، هل سيعمد السودان إلى مناقشة هذه المستجدات فى إطار عربى أو إسلامى . أم أنه سيكتفى بمعالجة الأمور داخليا ؟

ج : فى المقام الأول ، لابد من معالجة هذه المستجدات الخطيرة داخليا،وإذا سمح لهذا التيار المعادى للعروبة وللإسلام . بأن ينجح ، فلا شك أن الخطر يتهدد الأمة الإسلامية بكاملها ، فالسودان ، كما ذكرت ، ثغر عربى وإسلامى متقدم فى قلب القارة الأفريقية ، ولا غضاضة فى أن يهتم الأخوة العرب فيشاركونا الإحساس بخطورة الأوضاع ، فى حال

استمرار هذه الهجمة العنصرية ضدنا ، واحتمال مناقشة خطورة هذه الأوضاع فى إطار الجامعة العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامى .

س : البيانات الصادرة عن القوات المسلحة أظهرت أن العقيد جون غارانغ أحدث تغييرا نوعيا فى استراتيجيته ، عبر توسيعه رقعة المعارك باتجاه الشمال والغرب ، والبيانات الصادرة بعد محاولة التمرد الأخيرة فى الجيش ، أظهرت وكأن قوات غارانغ حاولت الالتحام مع تحركات « حملة المظالم » فى جبال النوبة والغرب .

فهل استراتيجية « الكماشة » هذه تهدف إلى الالتفاف على الخرطوم ، بهدف فرض الحلول المناسبة لها ؟

ج : الكلام صحيح عن الاستراتيجية الجديدة التى توسع رقعة العمليات العسكرية صعودا باتجاه الشمال ، والاستنتاج فى محله ، هذه النقلة النوعية الجديدة تتماشى وتنسجم مع أهداف العقيد جون غارانغ التى صرح عنها فى أكثر من مناسبة ، وهى حكم السودان بشماله وجنوبه فى إطار نظام شيوعى ، وهذا لا يحتاج إلى دليل ، وكل الأدلة موجودة فى أدبيات حركة التمرد التى يتزعمها العقيد جون غارانغ منذ قيامها ، وبالتالى فإن استراتيجية الكماشة كما تحدثت عنها هى أيضا ذات صبغة شيوعية ، ومع الأسف فإن أهدافها تجد قبولا لدى جهات سودانية منتمية إلى هذا الاتجاه[1] .

ولابد من القول إن جهات خارجية معروفة بانتمائها العقائدى اليسارى كانت ومازالت تقف مع العقيد غارانغ ، وتمده بالأسلحة التى استخدمها فى عملياته الأخيرة .

س : يقول مراقبون إن النقلة النوعية فى استراتيجية حركة التمرد

---

(١) الحزب الشيوعى السودانى يقف وراء حركة التمرد لأن الكفر هو القاسم الوحيد المشترك

السودانى تهدف فى المدى البعيد إلى فتح أقنية على حملة دعاوى مذهبية مشبوهة فى داخل مصر ، بحجة بروز التيار الدينى هناك ، ومطالبة هذا التيار بتطبيق الشريعة الإسلامية .

فهل تعتقدون أن استراتيجية الكماشة فى طرفيها الجنوبى والغربى تشكل خطراً على مصر أيضا ، وتهدر موزاييكها (تنوعها) السكانى ؟

ج : بما أن السودان يمثل عمقا حيويا مهما للشقيقة مصر ، فإن كل ضيم أو خطر يصيب السودان ، لا سمح الله ، لابد أن يقلق الأخوة فى مصر ، ويكون مدعاة لانتباههم وعنايتهم .

والمخططات بعيدة المدى للحركة العنصرية ، الملتحمة مع حركة التمرد فى الجنوب ، لا يستبعد أن تتربص بأى بلد عربى مسلم وأفريقى يتميز بمواصفات حضارية تعددية ، تصبح ذات خطورة إذا حاولت جهات مشبوهة النفاذ منها إلى أمن البلد ، ووحدة ترابه وسكانه .

أحيانا ، يغرق المحللون فى التشاؤم ، مع أن ما تكشفه التحقيقات أولا بأول قد يحرض على ذلك ، ويفترض بنا وبكل بلد عربى ومسلم الحذر واليقظة والانتباه[1] .

* * *

هذه هى أهداف المؤامرة كما يقول الفريق سوار الذهب مؤامرة ضد الإسلام ..

ومؤامرة ضد العروبة ..

مؤامرة تستهدف السودان كله شماله وجنوبه وشرقه وغربه ..

مؤامرة لن تتوقف حتى يتوقف « قلب السودان المسلم » عن النبض وحتى يقطع صلته بالإسلام والعروبة فى الشمال والشرق .. !!

---

(١) مجلة الحوادث ــ ٢٥ / ١٠ / ١٩٨٥ م .

وبالرغم من « الصبغة الماركسية » التى تظهر فى منشورات حركة التمرد فإن الأمر ليس بهذه السهولة .. وبهذه البساطة ، فالأفعى الصليبية تجيد تغيير جلدها حسب كل حالة ، كما تجيد تغيير تكتيكها وأسلوبها حسب كل مرحلة .

« فجون غارانغ » تعلم فى مدارس الكنيسة ، وحصل على الدكتوراه من أمريكا ، وأمريكا — كما يعرف الجميع — تجيد صناعة العملاء ، كما تجيد صناعة « المكياج » !!

فلا مانع من أن يكون العميل « شيوعيا » يؤله ماركس أو بوذيا .. يقدس « بوذا » وكونفشيوس .

المهم أن ينفذ المخطط ، وأن يلتزم بالتعليمات التى تأتيه من قضاة « محاكم التفتيش » الذين يترصدون بالإسلام والمسلمين كل مرصد ، والذين لايزالون أحياء فى لندن وباريس وواشنطن ..

انظروا فيما حولكم هنا وهناك فى أى بلد عربى وأى بلد مسلم ستجدون دعاة الإلحاد والعلمانية كلهم من خريجى جامعات الغرب . بل ستجدون شيوعيين تعلموا فى جامعات أمريكا التى تحارب الشيوعية فوق أى أرض .

إن الغرب لا يخاف الشيوعية .. لأن الشيوعية فى النهاية « صناعة أوروبية » ولا مانع عنده من تمكين لينين وماركس .. إذا كان الخيار بينهما وبين دين محمد ؟ !!

فالشيوعية أمرها سهل ، والقضاء عليها مسألة « تكتيك » ووقت ، أما الإسلام فهو الخطر الذى يرتجفون من ذكر اسمه حتى على سبيل الافتراض والوهم .

* * *

فى كتاب « جنوب السودان فى مائة عام » يقول المؤلف :[1]

« كان استمرار حركات الانفصال فى الجنوب وقدرة القائمين عليها فى التحرك داخل السودان وخارجه داعيا للتساؤل عن السر الذى يكمن وراء هذا الاستمرار ؟ وكيف أنه ظل قائما منذ عام ١٩٥٥ ، وهى السنة التى قام فيها التمرد ، وما زال يواصل عمله ونشاطه ، وينفذ المخطط الاستعمارى الذى رسم له بإحكام وقد جاء الرد على هذه التساؤلات فى المؤتمر الصحفى الذى عقد فى الخرطوم بعد انقلاب ٢٥ مايو بشهور قليلة وأوضح المسئولون فيه أسرار وقوف بعض المنظمات الكنسية والهيئات فى الخارج وراء حركة الانفصال .. يمدونها بالمال والتأييد الأدبى ويساندونها إعلاميا ، وكشف المسئولون عن حقيقة هذا الأمر وهم يستندون إلى وثائق رسمية .

ومن هذه الهيئات التى أعلن أنها وراء حركة الانفصال فى جنوب السودان . اتحاد الطلاب المسيحيين البروتستانت بجامعة بون بألمانيا الغربية .. فقد جمع الطلاب الذين ينتمون إلى هذا الاتحاد تبرعات من المواطنين تحت رعاية الكنيسة .

كما فتح حساب لهذه التبرعات فى البنك التجارى بعاصمة ألمانيا الغربية تحت رقم ٢ / ١٠٦٧٦ .

كما أسهم قساوسة الكنيسة الكاثوليكية الرومانية بايطاليا بقسط موفور فى النشاط لدعم حركة الانفصال فى جنوب السودان ، وكان أغلب قساوسة هذه الكنيسة من الذين باشروا أعمالا سياسية وتخريبية فى الجنوب وصدر القرار بطردهم من السودان فى عام ١٩٦٣ .

---

(١) دكتور محمد المعتصم .

ومن الأسماء التى أعلنتها الحكومة السودانية وهى تبرهن على اشتراك هؤلاء القساوسة فى أعمال المعونة للانفصاليين . أسماء ثلاثة قساوسة بالذات كانوا يعملون فى مديرية بحر الغزال وهم :

١ – البيشوب دومنيك فيرايرا DOMINIC FERRAR

٢ – الأب ادوارد ماسون EDUARD MASON

٣ – الأب الفونس روزى ALFONES ROSSI

وقد نشروا فى الفترة من ١٥ مايو عام ١٩٦٩ مقالات عديدة بالمجلات المحلية ضد سياسة الحكومة السودانية تجاه الجنوب كما نشطوا فى جمع التبرعات من بعض الدول الكاثوليكية الأوروبية ومجموعة الدول الاسكندنافية .

ثم جمعية الدعم الأفريقى بألمانيا الغربية التى أسسها عام ١٩٦٤ طبيب يدعى « لوبا » وأنشأ فرعا لها بمدينة فرانكفورت وأخر بمدينة كولون بألمانيا الغربية ــ وفتح لها صندوق توفير بالمدينة الأخيرة تحت رقم ٦٩٩٩ ثم أنشأ فروعا لها بمدينة كراكاس وميونيخ وهامبورج لتواصل دعمها للانفصاليين .

وهناك لجنة العمل « بيافرا السودان » وهى إحدى المنظمات الكاثوليكية بألمانيا الغربية وقد عثر البوليس الألمانى لديها على كثير من الوثائق والمنشورات تم إعلانها فى المؤتمر الصحفى فى الخرطوم .

أما منظمة المساعدات الألمانية والكنيسة الكاثوليكية فقد استعانت بمجموعة من الأفاقين والمغامرين ليمدوها بمعلومات عن حالة أبناء الجنوب من المسيحيين لتقديمها إلى بابا روما كما اعترف بعض المرتزقة الذين ضمتهم هذه المنظمة بأن منظمة المساعدات الألمانية ستبدأ فى تقديم مساعداتها لجنوب السودان ،فكان هذا العمل الذى تقوم بها لونا من ألوان الدعم الذى لقيه دعاة الانفصال من هيئات أجنبية .

وهناك هيئة الكنيسة الكاثوليكية البروتستانتية وهى نشيطة بين المواطنين الألمان وتجمع منهم التبرعات لمساعدة اللاجئين السودانيين وقد فتحت حسابا باسم « إعانة السودان » .

وقد تخصصت هيئة العمل الطبى بفرانكفورت بألمانيا الغربية وهيئة الخدمة الألمانية فى إرسال إمداد اللاجئين عن طريق كينيا ، كما كانتا تقومان بنشاط واسع فى معسكراتهم بأوغندا وتقدم لهم العون المادى — الذى بلغ حتى ساعة الإعلان عن هذا الموضوع فى المؤتمر الصحفى السابق ذكره — ربع مليون مارك ألمانى .

والهيئة الأخيرة التى أعلن المسئولون السودانيون عنها فى ذلك المؤتمر هى منظمة جنوب السودان وهذه المنظمة مسجلة رسميا فى لندن ومن بين أعضائها أساتذة فى الجامعة وأعضاء فى البرلمان وهى تقوم بنشاط إعلامى واسع ضد السودان وهى تضم اثنين من زعماء الجنوب الانفصاليين هما (بادنج جرنج) و (يعقوب جيبل)[١] .

* * *

مرة ثالثة .. ادركوا السودان .. قبل أن يضيع .. ويضيع معه الجميع !!

أما لماذا ؟ وللمرة الثالثة . فلأن الحركة التنصيرية بدأت تأخذ مسارا جديدا يختلف عما قبل ..

---

(١) فى منطقة « كادوجلى » غرب السودان تحولت الكنائس إلى أوكار للمخربين وتحول كهنة الكنيسة إلى « مرشدين » و « مخربين » لتقتلة والمجرمين وقد تم قتل مائة إمام ومؤذن وهدم مائة مسجد . وقتل الألوف من النساء والأطفال الرضع . وقد سمعت هذا بأذنى من ممثل منظمة الدعوة الاسلامية فى هذه المنطقة فى المؤتمر العاشر لمنظمة الدعوة يوم السبت ١٥ شوال ١٤٠٩ هـ الموافق ٢٠ مايو ١٩٨٩ م

لم تعد الوداعة أو الشراسة « شعارا تتستر خلفه ، ولم تعد « الهداية » أو « الضلالة » هدفا تسعى إليه .. لقد كشف التبشير عن نابه الأزرق .. ! وأعلن تحديه لأى إجراء تتخذه الحكومة ضد جرائمه على شعب السودان الوديع الطيب .

وإذا كانت « مملكة المسيح » — كما قيل — فى « السماء » لا فى « الأرض » ، وإذا كان المسيح قد قال : « أعطوا ما لقيصر لقيصر » ولا تدخلوا فى شئون الملك أو الحكم ، فقد ضرب « التبشير » بهذه الوصايا كلها عرض الحائط .. ، وجعل من الكهنة والكرادلة ملوكا وجبابرة يفرضون إرادتهم على المحكوم والحاكم . فقد هدد كبير الأساقفة — فى الخرطوم — حكومة السودان بشن حركة إعلامية ضد هذه الحكومة فى أنحاء العالم وأعلن أنه إذا لم يعد « المبشرون البيض » — الذين طردتهم الحكومة إلى الجنوب — فلسوف يؤلب الفاتيكان ، والبابا ... و ... خمسمائة مليون كاثوليكى للانتقام والثأر ، وحينئذ سوف لا يجد مسلم واحد كسرة من الطعام أو الخبز !!

وقد تكررت المحاولة من رئيس الأساقفة الكاثوليك لرعاية المسيحيين عندما أصدر « كتيبا » ينتقد فيه تطبيق الشريعة الإسلامية على المسلمين وقد كان أسلوب هذا « الكتيب » — كما يقول الأستاذ حسن مكى[1] — طافحا بأقصى عبارات الابتزاز والتهديد .

« ... إن التدخل فى الشئون الداخلية للدول يعتبر جزءا من الدور الاستعمارى الذى تقوم به المؤسسات التنصيرية حيث تعتبر ذلك جزءا من عملها لقيام امبراطورية نصرانية تسيطر على العالم .. ففى جميع الدول التى أقام بها دعاة التنصير مراكز لهم أصبح هذا الدور واضحا جليا ، فقد قام

(١) من كتاب التبشير المسيحى فى العاصمة المثلثة .

مجلس الكنائس العالمى بدور بارز فى إدارة حرب الجنوب فى السودان حين تبنى تلك الحرب الداعية إلى انفصال جنوب السودان عن شماله رغم قلة عدد النصارى هناك حيث لا يتجاوز عددهم ٧٪ من تعداد الجنوب (ومع ذلك ينصب مجلس الكنائس من نفسه وصيا على جنوب السودان) .

وقد وضح للمراقبين .. بعد الدور الذى لعبه اتحاد الكنائس فى تحقيق الاتفاق السياسى بين حكومة الرئيس نميرى ومتمردى الجنوب .. مدى النفوذ الذى يتمتع به اتحاد الكنائس فى هذه القضية ، ومن هنا تبرز حقيقتان جديرتان بالملاحظة :

١ – نفوذ اتحاد الكنائس فى حركة التمرد .

٢ – الدور السياسى الذى تلعبه الدوائر الدينية المسيحية .

أما النفوذ القوى الذى مكن مجلس الكنائس العالمى من كبح جماح التمرد وحل مشكلة جنوب السودان حلا سياسيا على الرغم من ضآلة نسبة النصارى فى الجنوب ، فيرجع إلى أن الجهات التبشيرية هى التى نظمت التمرد وهى السند الأساسى الذى يتلقى المتمردون منه السلاح والتمويل والدعاية وما يلزم من مساعدات ، حتى أن القائد الأعلى للمتمردين كان أحد رجال الكنائس البيض ــ رالف شتاينر .. موجود فى سجون الخرطوم ــ لقد ترعرع التمرد الانفصالى فى أحضان الاستعمار الصليبى منذ أن فرض الاستعمار البريطانى عزلة تامة على جنوب السودان ووضع له إدارة منفصلة وجعل التعليم فيه تابعا للإرساليات حتى يتخرج منها الجيل الذى يقود التمرد .. وليس هذا الدور الخطير الذى يلعبه مجلس الكنائس العالمى هو الأول من نوعه ، فقد كان المحرك الحقيقى لمحاولة الانفصال فى بيافرا (نيجيريا) وكان قائد الحركة هناك هو نفسه رجل مجلس الكنائس العالمى « رالف شتاتنر » الذى قاد متمردى جنوب السودان حتى سقط أسيرا .. ولقد حاول قلب نظام أحمد وأهيدجو فى الكاميرون فى المحاولة الفاشلة حيث

حكم على رئيس القساوسة بالإعدام . ومن هنا يتحتم على جميع الشعوب التى تهمها أوطانها أن تولى هذه المؤسسة اهتماما وحذرا مثلما توليه للجهات الإمبريالية الأخرى ، نظرا لأنها تلعب نفس الدور .. وبنفس القدر .. وتحلم بإقامة امبراطورية مسيحية فى العالم الثالث تكون تحت نفوذها وسيطرتها .

لقد صرح متمردو السودان من قبل بأنهم يحاربون لإقامة دولة أنيانيا المسيحية الكبرى وهو نفس الاسم الذى تحمله جبهتهم السياسية .

بعد كل هذا لم يعد خافيا الدور السياسى الذى تقوم به الإرساليات التبشيرية فى العالم الثالث ، والعالم الإسلامى على وجه الخصوص ، لقد انفضح تماما الادعاء الكاذب بفصل الدين عن السياسة لدى العقلية التبشيرية . لقد خدمت السياسة الاستعمارية المؤسسات الدينية فى السابق ، وجاء دور النشاط الدينى الآن ليكمل الطريق بنفسه بعد أن قوى عوده[1] .

* * *

إن المؤامرة أبشع مما نتصور . فقد صرح قسيس اسمه جاكسون JACKSON لصحيفة انجليزية هى الجارديان GUARDIAN بأن الهدف الذى يسعى إليه « المنصرون » إنما هو إقامة حزام جغرافى لمجموعة الدول النصرانية التى تتحكم فى منابع النيل .. ! وهذه الدول التى يعنيها هذا « المنصر » هى « جنوب السودان » ، بعد نجاح المؤامرة ، وأوغندا (وعدد المسيحيين فيها لا يزيد على خمسة وعشرين فى المائة) وكينيا لا تزيد نسبة المسيحيين فيها على هذه النسبة « وأثيوبيا » ، وهذه أيضاً لا تزيد نسبة المسيحيين فيها على خمسة وثلاثين فى المائة ، والهدف الذى يسعون إليه بعد قيام هذه

---

(١) مجلة المجتمع الكويتية ــ العدد ٩٠ ــ ٣ محرم ١٣٩٢ هـ / ٧ مارس ١٩٧٢ نقلا عن « الغزو الفكرى فى الخليج العربى » رسالة ماجستير ــ مخطوطة ــ سعيد عبد الله حارب .

الوحدة ، إنما هو التحكم فى أى بلد مسلم تتوقف حياة شعبه على مياه هذا النهر إن لم يستجب لمطالب هذه العصابات التى تقف وراءها دول كبرى بالتسليح والدعم ....

والزعم بأن هذه دول مسيحية خرافة ينقضها الواقع والحقيقة فالمسلمون أكثر من غيرهم فى كل هذه الدول المرشحة للاشتراك فى هذه المؤامرة ، والحلم الذى يعشعش فى عقول هذه العصابة سينقلب ــ إن عاجلا أو آجلا ــ إلى « كابوس » ينتهى بهم إلى كارثة ... !

* * *

والشيء الذى لم يكن يخطر على بالى أبداً أن اتحاد طلاب « جنوب السودان » (SOSSA) أنشأ فرعا له فى مدينة القاهرة ، وقد ساق القدر ــ إلى ــ هذا التقرير الذى يكشف خفايا هذا الاتحاد ، وأنشطته الخفية والظاهرة .

أولا : عقد الاجتماع السنوى لطلبة جنوب السودان بجمهورية مصر (SOSSA) لعام ١٩٨٤/٨٣ فى كنيسة سان جوزيف (٢ شارع بنك مصر) وقد كانت أمثال هذه الاجتماعات الطلابية تعقد فى الدار السودانية فيما مضى .. ومرفق طيه بطاقة دعوة لهذا الاجتماع وقد طبعت فى الكنيسة نفسها .. وقد قامت نفس الكنيسة بتغطية تكلفة الاجتماع من ميكرفون وكراسى وطعام ومشروبات .. فضلا عن أن القسيس نفسه قد خاطب الاجتماع ووعد الطلاب بأنهم ساعون فى إيجاد حلول لمشاكل الإسكان التى تواجههم ، وتجدر الإشارة إلى أن هذا الاجتماع يضم طلاب الأقليم الجنوبى بالجمهورية جميعهم وفيهم المسيحى والمسلم وقد شهد الاجتماع بالفعل عدد من الطلاب المسلمين بحكم عضويتهم فى الاتحاد المذكور .

ثانيا : دعى طلاب الأقليم الجنوبى بالقاهرة إلى رحلة فى وادى النطرون يوم ١٩٨٣/٣/١٢ استجاب لها ما يقارب الثمانين وفيهم طلبة مسلمون ، وقد قامت رحلة مماثلة إلى وادى النطرون من طلاب الأقليم بالاسكندرية فى تاريخ لاحق .

ثالثا : زار اثنان من طلاب الأقليم الجنوبى ومن القياديين فى اتحادهم وهما مسيحيان ــ زاروا الانبا شنودة فى مقره وهناك دلائل على تأثرهم بآرائه والمدافعة عنها ، إذ احتج واحد منهما على تكوين الوفد المصرى لبرلمان وادى النيل قائلا إن المسيحيين لم يمثلوا فيه ! .

رابعا : يلقى الطلاب المسيحيون ــ خاصة من أبناء الأقليم الجنوبى بالسودان عناية كبيرة من الدوائر الكنسية بالجمهورية ومن قبيل ذلك منح اللاهوت التى قدمت لهم قفزت من منحتين عام ١٩٨١ إلى عشر منح عام ١٩٨٣ وتقدر المنحة بمائة جنيه شهريا هذا فضلا عن السكن المريح الذى يوفر لهم.. ويتم استقبالهم حين قدومهم فى المطار ويتم نقلهم إلى مساكنهم بالقاهرة ، كل ذلك بالامكانات الكنسية ، هذا بالإضافة إلى تسفير قياداتهم للندن وروما فى الاجازات . !

خامسا: توفر الكنائس عمارات سكنية لطالبات الأقليم كما هو الحال فى العباسية ومصر الجديدة والاسكندرية وبعض بنات المسلمين تجبرهم الظروف للسكن فى هذه العمارات .

سادسا : توزع كتيبات جمعية الشبان المسيحيين بوفرة على طلاب الأقليم فى أماكن السكن وفى الرحلات الرياضية والترفيهية التى تنظمها هذه الجمعية .

سابعا : فى صيف عام ١٩٨١ زار ستة من طلبة جامعة الاسكندرية الأقباط مدينة (واو) بالأقليم الجنوبى حيث قاموا بتدريس التربية المسيحية فى المدارس وقد اتخذوا إحدى كنائس مدينة واو مقرا لهم[(١)] .

* * *

إن الإنسان ينتفض فزعا بعد هذا الحوار الذى أجراه رئيس تحرير مجلة « المصور » المصرية وبين السفاح « جون جرنج » ..

إن هذه العربدة الصليبية لا يمكن أن تصدر من إنسان يضمر لإنسان أية نزعة إنسانية ، ولايمكن وصف هذا الحوار وصفا تعبر عنه آية لغة . انه « عربدة » بكل معنى الكلمة ، وابتزاز دموى من سفاح تخرج فى أوكار الحقد والجريمة ..

وإليكم بعض فقرات هذا الحوار الذى تم بين « جرنج » وبين رئيس تحرير هذه المجلة[(٢)]..

س : ماذا لو توصل المهدى[(٣)] والترابى إلى اتفاق حول قوانين الشريعة وأصدرا قانونا فى المناطق التى يسكنها أغلبية مسلمة ولا يطبق فى المناطق الأخرى .

هل يحل ذلك مشكلتكم مع قوانين الشريعة ؟

ج : هذه ليست مشكلتنا ، إنها مشكلة تخص السودانيين ، نحن نريد دولة علمانية . فى مصر توجد أغلبية مسلمة ولا توجد شريعة ، وفى نيجيريا يوجد مسلمون ولكن لايوجد شريعة . !

---

(١) هذه الامكانات الهائلة والتسهيلات الشاملة ، تقدم من الكنيسة فى الوقت الذى قام فيه طلبة مدينة البعوث الإسلامية ، ويمثلون أكثر من سبعين دولة قاموا بمظاهرة يطالبون بتحسين أحوالهم المعيشية فى هذه المدينة . (صحف ٨ / ٨ / ١٩٨٧ م) .

(٢) مجلة المصور . العدد رقم ٣٢٧٩ ــ ٢٠ من ذى الحجة ١٤٠٧ ــ ١٤ أغسطس ٨٧

(٣) الصادق المهدى رئيس الوزراء . والدكتور حسن الترابى الزعيم الإسلامى

س : ولكن فى مصر هناك من يطالبون بتطبيق الشريعة ، ويوما ما سيطالب المسلمون ، وهم أغلبية ، تطبيق الشريعة .. لماذا تعارضون ؟

ج : الأغلبية لاتريد الشريعة لكن النميرى هو الذى فرضها ، لم يكن هناك انتخابات أو تصويت . !

س : من الممكن إجراء استفتاء ؟

ج : لم يحدث استفتاء حول الشريعة ، ولكن النميرى فرضها فرضا ، الاستفتاء لم يجر بعد ، النميرى ذهب ولتذهب معه قوانينه .

س : اعتقد أنه من السهل إجراء استفتاء ؟

ج : من السهل أيضا أن نذهب إلى القمر ؟

الشريعة فرضت على السودان ولم يجر أى استفتاء ؟

س : أظن أن سؤالى واضح تماما : ماذا لو وافق أغلبية المسلمين على تطبيق الشريعة على أنفسهم فقط دون المناطق الأخرى ؟

ج : الأغلبية التى تقوم على أساس دينى لاتكون ديمقراطية ، الأغلبية التى تقوم على العنصرية لاتكون ديمقراطية .

إذا قررت الأغلبية الأفريقية فى السودان أن تطرد العرب . هل تقبلون أم ترفضون ؟ !!!

إذن أى أغلبية تقوم على أساس دينى أو عنصرى فى السودان لن تنجح .

لأن السودان متعدد الأديان ومتعدد العناصر .. هذه أغلبية ميكانيكة .

س : ولكن لايضيركم أن أطبق الشريعة على نفسى كمسلم ؟

ج : ولا يضير العرب أن أطبق أنا أيضا الافريقية . المسلمون أغلبية ميكانيكية فى السودان ، والأفارقة أغلبية ميكانيكية فى السودان هذا حقيقى .

س : لنحاول الخروج من هذا الطرح غير الديمقراطى لنضرب مثلا إذا كان شخص ما مسيحيا ويعارض موقفا معينا فى بلدك وتريد الأغلبية

المسلمة تطبيق الشريعة الإسلامية على أنفسهم .. فماذا يضير هذا الشخص . ؟!

ج : القانون العام يطبق على الجميع ، والقانون المحلى يطبق على أهل منطقة محددة ، هكذا كان الوضع قبل ١٩٨٣ قبل أن يفرض النميرى أحكام الشريعة . فى قريتى توجد تقاليد خاصة هى القانون المحلى . وهذا ما نطالب به .. أى العودة إلى حالة ماقبل ٨٣ . نحن نرفض إعلان دولة إسلامية . لقد تعايشنا مع المسلمين فى هدوء من قبل فى الجنوب و لم تكن هناك حاجة إلى فرض الشريعة ، كنا نطبق تقاليدنا وقوانيننا الخاصة . هذا هو وضع ما قبل ٨٣ . الزواج فى قريتى يتم وفقا لتقاليدنا .

هل سمع أحد بمثل هذه « الفجاجة » و « العنجهية » ؟ إن فيما يقوله هذا السفاح الصليبى إهدار لكل القيم والقوانين فى أى مكان من الدنيا ..

* * *

لكن ما العمل ؟!

سؤال إجابته معروفة .. وأصغر طفل من أبناء المسلمين يعرف حل هذه المشكلة .

ولكن المأساة .. أننا حتى فى مواجهة الكوارث ينقصنا التنظيم وإن شئت فقل : ينقصنا الإحساس بحجم هذه الكارثة التى تعرض بلادنا لشر مستطير ..

وإن شئت ثانيا فقل : ينقصنا التعاون والعمل الجماعى المخلص فى مواجهة هذا الخطر الكبير ...

لقد ذهب إلى السودان أحد كبار التجار من « دبى » [1] لإقامة مشروع إسلامى خيرى على نفقته الخاصة . لقد حاسبوه هناك حساب

---

(١) جمعة الماجد .

الملكين . ! ووضعوا فى طريقه العقبات التى يهون معها حمل الأخشبين [1] .

فعلوا كل هذا مع رجل مسلم ذهب متبرعا بالملايين من ماله ، وبوقته وجهده وعرقه ، فعلوا هذا فى الوقت الذى يسمح فيه للكنيسة بإدخال ماتشاء دون مساءلة ، ودون جمارك أو ضريبة حتى لو كان ما تدخله الكنيسة يقع تحت طائلة القانون ، ويخضع لملاحقة « الانتربول » [2]، ويهدد اقتصاد السودان تهديدا يعرضه للإفلاس الذى أصبح قاب قوسين أو أدنى من البنك السودانى المركزى فى مدينة الخرطوم !!!

فى السادس من شهر أغسطس ١٩٨٧ نشرت الفانيانشال تايمز FINANHL TIMES مقالا تقول فيه :

مر عيد الأضحى المبارك دون أن يشعر به أحد فى السودان رغم أنه مناسبة تقليدية سعيدة بالنسبة للمسلمين فلقد فقد العيد بهجته وسط مظاهر الحزن العامة التى تولدت عن انتشار الفقر ونفاد السلع والنظرة القائمة لمستقبل مجهول .

ويندهش الزائر لدى وصوله إلى الخرطوم لانتشار ظاهرة التسول وزيادة عدد العاطلين الهائمين على وجوههم فى الشوارع والمحال التجارية التى تكاد تكون خالية من البضائع ، وبين الحين والحين تظهر فى الشوارع سيارات مرسيدس فارهة سوداء أو بيضاء لتعكس تناقضا صارخا كمظهر من مظاهر الرفاهية وسط مظاهر الفقر المدقع .

وقد وصل سعر كيلو اللحم ــ إن وجد ــ إلى ١٧ جنيها سودانيا وكيلو السكر إلى ١٠ جنيهات وسعر رغيف الخبز إلى ١٧٪ من الجنيه وتلاق سوق الملابس القديمة المستعملة تهافتا وإقبالا كثيرا من جانب أفراد الشعب .

---

(١) جبلان بمكة .

(٢) البوليس الدولى .

وتقل حركة السيارات فى الشوارع بسبب ارتفاع أسعار البنزين فى بلد يتراوح فيه راتب الموظف المتوسط بين ٢٥٠ , ٣٠٠ جنيه سودانى ويباع جالون البنزين (أربعة لترات تقريبا) بسعر ٧,٥ جنيه ولابد للحصول عليه من الوقوف فى طابور طويل لا ينتهى ، والانتظار نصف نهار فى المتوسط .

وذكر شاب سودانى وهو أعزب ويدعى أحمد أنه قضى إجازة عيد الأضحى نائما وذلك أفضل ما يمكن عمله ، ثم إن النوم لا يكلف شيئا ، ويقول سائق سيارة أجرة اسمه عبد الله أثناء مروره أمام مستشفى حكومى يحسن بك ألا تمرض فى السودان لأنك إذا دخلت المستشفى فليكن الله فى عونك إذ عليك أن تأتى بأنبوبة الأوكسجين والضمادات والقطن الطبى وإذا حالفك الحظ فلن ينقطع التيار الكهربائى .

ولم تعد الصحف تصدر بانتظام كما كان الحال من قبل بسبب نفاد الورق . وتعيش الخرطوم فى ظلام ، وخلال ساعات الليل باستثناء الشوارع الرئيسية الكبيرة وذلك اقتصادا للطاقة ، أما الفنادق الكبرى حيث يمكن أن يصل سعر الوجبة العادية إلى ٨٠ جنيها فهى لا تخلو أبداً من روادها فهى ملتقى للسودانيين من علية القوم .

وتعانى البلاد من جفاف مستمر منذ سنوات وتتحمل عبئا ثقيلا بسبب سيل اللاجئين من الدول المجاورة ، وأدت اضرابات الموظفين وحركات احتجاج الطلبة وانخفاض قيمة العملة واستشراء السوق السوداء ورفع الأسعار دفع ذلك كله البلاد إلى شفا الافلاس .

ترى هل أفلت الأمر من أيدى الحكومة ؟ أم بلغت الكنيسة هذه الدرجة من القوة ؟ أم ماذا يمكن أن يقال فى تفسير هذه الظاهرة ؟ وفى تعليل ما يقع على هذا الشعب العريق فى دينه وتدينه .. ؟

هل هو الفقر ؟ إن السودان غنى بثرواته التى لا تزال مطمورة فى باطن الأرض ، وعنده حوالى مائتى مليون فدان تكفى لاطعام كل مسلمى العالم فى الشرق والغرب .

هل هو الخوف ؟ كيف وقد انتصر السودان على أقوى امبراطورية فى العالم منذ حوالى قرن ، وانتصر الدراويش على « غوردون » بالرماح والنبال والعصى ، وجعلوا من القائد الذى لايقهر أمثولة يتحدث بها الناس إلى نهاية الدهر .

« حتى أن أحدهم[1] كان ينزل عن فرسه ، ويقاتل راجلا[2]!.. ويتضاربون بالسكاكين للزحمة والالتحام الحاصل بين الفريقين .. حتى يسقط المسلم على الكافر .. والعمامة فوق « البرنيطة[3] » والبرنيطة حول العمامة .. ! وكان بعضهم يوصى بعضا فيقول : أن أصبت قبل أن أتمكن من الوصول والدخول فى وسط العدو فجروا برجلى حتى تلقونى وسط العدو لعلى أتشفى فى أعداء الله ولو بضربة فى اخر رمق منى فاستريح من شؤم الدنيا!![4]

★ ★ ★

إن قضية السودان كما يقول ارنولد تونبيى ARNOLD TOYNBE هى قضية أفريقيا المنقسمة ، ولذا .. فإن السودان إذ يحمل مصيره بين يده يحمل مصير أفريقيا فى الوقت نفسه ، فإذا نجح السودان فى ذلك سيكون قد قام بعمل رائد للقارة الأفريقية بأسرها . أما إذا احتدم الصراع فى السودان وأزمن فسوف يؤدى ذلك إلى زيادة التوتر بين قسمى أفريقيا فى كل مكان .

---

(١) انظر كتابنا : المهدى السودانى والأصول الفكرية لحركته ودعوته ص ١٩٠ طبعة دار المعارف ــ القاهرة .

(٢) ماشيا .

(٣) القبعة .

(٤) المصدر السابق ص ١٨١

وسيتحول « جنوب السودان » طال الزمن أم قصر إلى ثورة للأحقاد والكراهية .. وحين تصل الأمور إلى هذا الحد فلسوف تنقسم أفريقيا إلى قسمين يتربص أحدهما بالآخر فى كل ناحية[1].

أين الخلل فى العمل الاسلامى المعاصر ؟

فى فقدان الوعى .. وإنعدام الثقة بين فصائله المتناحرة فى المضمون والشكل .. ومنذ ظهر كتاب « الغارة على العالم الاسلامى » الذى ترجمه مساعد اليافى ومحب الدين الخطيب ، وكتاب « التبشير والاستعمار » للدكتورين مصطفى الخالدى وعمر فروخ فلا يزال الميدان خاليا عن الدراسات الجادة التى تكشف أبعاد هذا الخطر ، وأهداف هذه « الغارة » التى بدأت تقترب من مقدسات الإسلام فى البدو والحضر . !!

* * *

فى المركز العام للوثائق التاريخية بمدينة لندن . توجد وثيقة تحمل رقم ٣٧١ / ٥٥٩٥ . كتبها وزير للمستعمرات سابق اسمه « أورمسبى جو » تقول الوثيقة :

« إن الحرب علمتنا أن الوحدة الإسلامية هى الخطر الأعظم الذى ينبغى على الامبراطورية أن تحذره وتحاربه .

وليست انجلترا وحدها هى التى تلتزم بذلك . بل فرنسا أيضا .. !

من دواعى فرحنا أن الخلافة الإسلامية زالت ، لقد ذهبت ونتمنى أن يكون ذلك إلى غير رجعة !!

إن سياستنا تهدف دائما وأبدا ، إلى منع الوحدة الإسلامية أو التضامن الإسلامى ويجب أن تبقى هذه السياسة كذلك !

---

(١) جنوب السودان . محمد أحمد بشير

إننا فى السودان ونيجيريا ومصر ودول إسلامية أخرى شجعنا ـــ وكنا على صواب ـــ نمو القوميات المحلية ، فهى أقل خطرا من الوحدة الإسلامية أو التضامن الإسلامى : إن سياستنا الموالية للعرب فى الحرب العظمى ـــ يعنى الأولى ـــ لم تكن نتيجة متطلبات « تكتيكية » ضد القوات التركية ، بل كانت مخططة لغرض أهم هو إبعاد سيطرة الخلافة على المدينتين المقدستين مكة والمدينة . فإن العثمانيين كانوا يمدون سلطانهم إليها لمعان مهمة ! ..

ومن أسباب سعادتنا أن كمال أتاتورك لم يضع تركيا فى مسار قومى علمانى فقط ، بل أدخل « اصلاحات » بعيدة الأثر أدت إلى نقض المعالم الإسلامية لتركيا . !

وفى إيران أيضاً وقع مثل ذلك فان « رضا شاه » اتبع سياسة تحد من إرادة ومقدرة المؤسسات الدينية ، وأدخل القبعة كما فعل الأتراك بكل ما تحمل القبعة من دلالات على رفض العادات الإسلامية والتقاليد الموقرة المتبعة من قبل .

وهذه العادات والتقاليد السائدة فيما كان يسمى قديما بالعالم الإسلامى تجب مقاومتها .

ونبهت الوثيقة فى ختامها إلى أن الوحدة العربية قد تكون حركة تمهيدية لإقامة وحدة إسلامية ، ويعنى الوزير بذلك ضرورة الحذر من هذا الاتحاد حتى لا يواجه الاستعمار خطر عودة الإسلام مرة أخرى .. !!!

* * *

فى ضوء هذه الوثيقة يمكن أن نفهم لماذا يحرص التنصير على إثارة النعرات والحزازات التاريخية القديمة .

الفرعونية فى مصر ...
والفنيقية فى بلاد الشام ...
والأشورية فى العراق ...
والبربرية فى المغرب ...
والزنجية والنوبية فى السودان ...

أما لماذا ؟ فلأن المسلمين — كما يقول « لورانس بروان » فى كتابه « الإسلام والإرساليات ISLAM AND MISSISON إذا اتحدوا أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطرا .. !!! أو كما يقول « القس كالهون سيمون » إن الوحدة الإسلامية تجمع أمال الشعوب السود وتساعدهم على التخلص من السيطرة الأوروبية ، ولذلك كان التبشير عاملا مهما فى كسر شوكة كل حركة ، والحيلولة بين الأرقاء والعبيد من التحرر والانطلاق من قبضة الاستعمار الدموية » .

أو — كما يقول — أندرية جيد : إن اتصال الإسلام بأفريقيا يرفعها ويسمو بروحها[1] ...

يقول منتسكيو : « إذا طلب منى أن أدافع عن حقنا المكتسب لاتخاذ الزنوج عبيدا ، فانى أقول : إن شعوب أوروبا بعد أن أفنت سكان أمريكا الأصليين ، لم تر بدا من أن تستعبد شعوب أفريقيا لكى تستخدمها فى استغلال كل هذه الأقطار الفسيحة ، والشعوب المذكورة ما هى الا جماعات سوداء البشرة من أخمص القدم إلى قمة الرأس ، وأنفها أفطس فطسا شنيعا ، بحيث يكاد يكون من المستحيل أن ترثى لها ، ولا يمكن للمرء أن يتصور أن الله سبحانه وتعالى — وهو ذو الحكمة السامية — قد وضع

(١) فى داخل افريقيا — تأليف جون جنتر J. Gunther ص ٨٥ — جـ ١

روحا ـــ وعلى الأخص روحا طيبة ـــ فى داخل جسم حالك السواد[1] .... »

أعرفتم لماذا يحارب الإسلام ... ؟ وأن التبشير ليس سوى حركة عنصرية تستهدف تحويل البشر إلى قطيع من الأغنام ؟

كنت فى زيارة إلى لندن منذ عامين ، وقد تعودت فى مثل هذه الزيارة أن أبحث عن أهم الكتب وعما يكتب عن الإسلام فى بلاد الغرب .

وفى لقاء مع أحد الأصدقاء لفت نظرى إلى مقال فى صحيفة الاوبزرفر OBSERVER كان اسم الكاتب غريبا وغير مألوف بين كتاب الصحف .. كما كان موضوع المقال عن السودان ومشكلاته التى بدأت تستفحل وتتدهور إلى واقع مؤسف .

وقد اتضح بعد قراءة المقال أن كاتبه مبشر متعصب ، والأفكار التى طرحها الكاتب تثير الفزع والرعب ، وتنبىء عما يدبر ضد السودان وشعبه فى « الجنوب[2] » و « الغرب[3] » .

لقد ذكر هذا الكاتب أو « الكاذب » أن السودان كان بلدا مسيحيا ولابد أن يعود مسيحيا .. ! وأن « الحرب » فى الجنوب « ليست سوى » تجربة « لحروب أخرى ستشتعل فى « كردفان » وجبال النوبة ... والأخطر من ذلك : أن يذكر هذا « المبشر » أن استغلال ثروات السودان « مؤجل » .. إلى أن يحين الوقت الذى نسمح فيه بهذا العمل !!! ، ولن يجىء هذا الوقت .. قبل أن نحدد ـــ نحن ـــ معالم السودان وشخصيته فى المستقبل !!!

---

(١) دكتور محمد عوض محمد ـــ الاستعمار والمذاهب الاستعمارية ص ٣٧ .

(٢) جنوب السودان .

(٣) فى كردفان ودارفور وبلاد النوبه .

يحدث كل هذا ويكتب . وفى السودان ــ كما قلت ــ حزبان إسلاميان يتبادلان مقاعد الحكم ، ويتنافسان على السلطة التى شغلتهما عن أخطر القضايا التى يتوقف عليها مصير السودان فى الغد . ؟ !

* * *

فى أحد مؤتمرات القمة الإسلامية ، وقف الرئيس السابق جعفر نميرى يقول : « ستتساءلون على وجه اليقين عن مشكلة الجنوب ، ستسمعون كذبا كثيرا وافتراء وأساطير ينسجونها حول الجنوب ، الجنوب الذى زرعه الاستعمار قنابل وقّت انفجارها وحدد آثار الانفجار وحسب بدقة نتائجه . وأستأذنكم لأحدثكم عن الجنوب قبل مائة عام وأكثر ، كيف كان موقع القلب من السودان الموحد فى قمة الثورة المهدية الإسلامية ، وأنقل لكم هذه الفقرة من صفحة ١٦٣ من كتابى « المنهج الإسلامى لماذا » :

الجنوب : عذاب التاريخ وهو يتراجع وما أقسى تراجع التاريخ . المهدى العظيم يقاتل البغى ويطارد الاستعمار ، يشعل ثورة السودان القومية العظمى . بحر الغزال تسانده ، بحر الغزال تبايعه . الدينكا والنوير تطرد لبتون قائد الحامية ، وتستقبل قائد المهدى كرم الله شيخ محمد كركساوى ليرفع راية المهدية رمز وحدة السودان فوق ربوع بحر الغزال .

سفاين المهدية تتقدم إلى مديرية خط الاستواء . قبائل المديرية تتقدمها تحكم الحصار حول الحاميات . تتساقط وتستسلم لينسحب دكتور أمين حاكم المديرية ويرفع عمر صالح مبعوث المهدى راية الوحدة القومية لتستظل بها مديرية خط الاستواء » .

جاء الاستعمار والسودان بلد واحد وشعب واحد . الإسلام دينه ، والوحدة شعاره ، والاتفاق ديدنه لا عدو له إلا الاستعمار ، ولا هدف له إلا القضاء عليه ، فبدأ المستعمر فى تخطيط جريمته الكبرى ضد الإنسانية .

فرض على أبناء الجنوب تغيير أسمائهم إلى أسماء كنسية . يوسف أصبح جوزيف ، وجمعة أصبح قاما وشول ودينق وماجوك وماكيج وأوان أضافوا إليها أو غيروها إلى وليم وجون وبيتر . طمسوا معالم الجنوب الأصلية . لم يكتفوا بمحاولة فصله من الشمال بل انتزعوه من ذاتيته الفطرية الطيبة .

وفى عام ١٩٢٢ بدأ الاستعمار فى تخطيط سياسة الجنوب ، أقفلوه فى وجه ابن الشمال الشقيق وبدأت عملية تنصيره وإشعال الفتنة فيه[١] ..

أين روح المهدى ؟ وعثمان دقنة ؟ وعمر صالح ، وكرم الله شيخ محمد ، والزبير باشا ، والسلطان رابح والشهداء والأبطال الذين سقط تحت أقدامهم الجنرال الظالم غوردون ؟

* * *

أسفا على هذا الخمود والجمود أيها المسلمون والعرب ....

كنتم أمة واحدة ... أمة الإسلام ...
فأصبحتم أمما ...
وكنتم حزبا واحدا .. حزب الله ...
فأصبحتم أحزابا ... وشيعا
لقد سكن بحر العرب المائج ..
وظهر الفساد فى البر والبحر ، وعاث الأوروبيون فسادا فى الأرض وضربوا العالم وملأوه ظلما وظلمات ، وبيت فسق ودعارة .. ومكان نهب وغارة ..
وقد آن الأوان لحامل رسالة الإسلام أن يقوم ..

---

(١) نقلا عن كتاب « سر تأخر العرب والمسلمين » لفضيلة الشيخ محمد الغزالى ص ١٨٢

وأن يصلح ما أفسده الأوروبيون ..
فالجهاد هو حياة روح الأمم وسيف بتار فى يد القدر[1] ..

لقد حدث بعد وصول الإنجليز إلى « دنقلة » أن قبضوا على جماعة من أقارب المهدى وقالوا لهم :

« ... اكتبوا إلى المهدى كتابا ليرسل إلينا أهالينا المأسورين عنده ونحن نطلق سراحكم بعد ذلك ، وحين وصل كتابهم إلى المهدى أرسل المهدى إلى أقاربه يقول لهم :

ليس لنا بكم حاجة . لأنكم ظلمتم أنفسكم . فلا فرق بينكم وبين الإنجليز عندنا .. ! ومعاذ الله أن نرتكب مالا ينبغى بعد قول الله تعالى :

﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا أباءهم أو أبناءهم أو أخوانهم أو عشيرتهم[2] ﴾

فان كان نظركم إلى القرابة فهذه الآية تكفيكم فاصلا عنا وفيما حكاه الله عن نوح وابنه ، وإبراهيم وأبيه مقنع لأولى الألباب . وقد كنا ــ سابقا ــ قد طالبناكم بالهجرة إلينا والجهاد معنا فما هاجرتم ولا جاهدتم ورغبتم فى تناول الجيف ، ومن أراد أن يأكل من الجيف فليصبر على عض الكلاب .. !!!

ترى هل يعنى ذلك زعماء الختمية والأنصار .. ؟

وهل يتفق الجميع ــ لمصلحة السودان ــ قبل أن تشتعل فيه النار ؟ !!

الزحف إلى مكة !!!

---

(١) مقتطفات من شعر العلامة محمد أقبال .
(٢) الآية الأخيرة من سورة « المجادلة » .